

بدائل

خبر وهلم

هبة مجانية

رامح زربق

في الوقت الذي تلتهم فيه نيران الاحتباس الحراري ما بقي من غابات لبنان، مفسحة المجال للمزيد من الزحف العمراني في المناطق البرية، تستعد بعض المنظمات غير الحكومية الخضراء «المحترفة» للقيام بنقلة نوعية من عالم العمل الميداني إلى عالم الاقتصاد والأسواق الخضراء. فقد دعا منذ بضعة أيام برنامج الأمم المتحدة للبيئة «يونيب» من يدها نخبة الجمعيات البيئية العربية، للتشاور معها في قضايا الاقتصاد الأخضر والاستهلاك والإنتاج المستدامين. وبغض النظر عن أسلوب انتقاء الجمعيات وعن تاريخ الجهات المنظمة، لا بد من الإشارة إلى بعض البديهيّات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمهمة الجديدة. تعد المقاربة الكلاسيكية للاقتصاد، كما المقاربة النيو كلاسيكية، الطبيعية بمثابة «هبة مجانية» يستعملها المستثمر لإنتاج السلع ولتكديس الأرباح، إلى أن تنفذ مواردها، فحشع النظام الرأسمالي لا يعرف حدوداً. ويمكن إعطاء أمثلة عديدة على ذلك، منها الامتداد العشوائي وغير المكبوح للعمران على الأراضي الزراعية والأحراج، أو انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري التي يستحيل تنظيمها ما دامت تتضارب مع عملية «النمو» الاقتصادي. والسبب هو أنه مع كل انخفاض في وتيرة الإنتاج والنمو، يعاني النظام الاقتصادي العالمي السائد أزمات تذهب ضحيتها الطبقات الهشة. لذلك، يستحيل تصوّر عالم يسوده النظام الرأسمالي، ويقبل القيمون عليه والمستفيدون منه وضع حدود للاستهلاك، من دون أن يؤثر ذلك سلباً في واقع الطبقات الهشة. يكمن الحل الوحيد لهذه المعضلة في تحدي النظام الاقتصادي السياسي السائد برمته، لا في تبني بعض الإصلاحات التجميلية. فهل الجمعيات الأهلية مستعدة لخوض هذه المعركة التي سوف تواجه فيها عزابها ومموليها الدوليين؟

تعاونية الأميرة: بركة دار الواسعة

البقاع - رامح حمية

«لو كنت نزلت ع معرض «أرضي» ومعى 5 طن مكدوس باذنجان وكشك كنت بعنهم». الكلام ل نوفة جعفر، رئيسة تعاونية الأميرة لتصنيع الإنتاج الزراعي. فسعادة السيدة لا تقاس، إذ إن «المشاركة في معرض أرضي أظهرت لنا مدى النجاح الذي حققناه، وإن كان التصنيع لا يزال يتم وفقاً للطريقة المنزلية، بعيداً عن الآلات والمعدات الحديثة التي تمتلكها بعض التعاونيات الزراعية الأخرى، التي تلتفتها من جهات محلية أو دولية داعمة». «جاءت التعاونية بهدف يتجاوز هدفها الغذائي، إذ كان دافعنا الأساسي من وراء إنشائها محاربة أفة المخدرات المتفشية، ومحاربة زراعتها، عبر تسويقنا وإبرازنا نجاح زراعات

تسيطر الفرحة على رئيسة وأعضاء تعاونية الأميرة - دار الواسعة وجوارها، لنجاح تعاونيتهم اللافت في معرض «أرضي» الأخير. فالتعاونية التي لم يتجاوز عمرها العام الواحد تمكنت من منافسة أكبر التعاونيات وأقدمها

مزارعين في راس بعلبك وجبولة وإياعات، «فحصلنا على إنتاج الملوخية وحبّة البركة وبذر الكتان والكمون واليانسون»، مرجحاً أن تلك الزراعات التي نجحت التعاونية في تسويقها «ستزدهر وتحل محل زراعة حشيشة الكيف بالنظر إلى ربحها الوافر». إلا أن فرحة الزوجين جعفر ليست مطلقة. إذ تحدّ منها المشاكل التي تحيط بالتعاونية. تشعر نوفة بغصة، وهي تتحدث عن «افتقارها إلى المعدات التصنيعية التي تتمتع بها تعاونيات أخرى» (في حين يسأل عنهم)، كما تقول، مشيرة إلى أنها بصدد إنجاز جدوى اقتصادية عن متطلبات تعاونيتها في محاولة منها لقطع الطريق على المنظمات التي «تتذرع بغياب دراسة الجدوى لعدم دعمنا»، كما تقول.

ليست تعاونية الأميرة، سوى إحدى التعاونيات الزراعية اللبنانية، التي تعاني مثل معظمها غياب الدعم الفعلي من جانب الدولة. ف«أم محمد» تؤكد أن «القروض الزراعية لا تزال استثنائية حتى اليوم، وهناك بعض التعاونيات الوهمية التي تستفيد من الدعم، فتشتري بضاعتها من هنا وهناك وتطرحها على أنها من منتجاتها»، إضافة إلى أن القروض، لو توافرت، فهي «زهيدة لا تتعدى الخمسة ملايين ليرة، وبفاضة 5%». فاطمة جعفر هي إحدى المنتسبات إلى تعاونية الأميرة. تصف تجربتها في هذا المجال بإيجابية عالية، متحدثة عن التغيير الجذري الذي طرأ على حياتها بعد الانسحاب إلى التعاونية. فقد كان عملها يقتصر قبل ذلك على «الأموال المنزلية فقط، وبروتين ممل جداً». أما اليوم، فإضافة إلى الأعمال المنزلية، هناك عمل منتج تقوم به في إطار العمل التعاوني، ضمن برامج ينبغي التقيد بها «للخروج بمنتج مميز» كما تقول، وخصوصاً أن الاستعدادات والأعمال ما زالت في تعاونية الأميرة تنجز بطريقة يدوية شاقة. أما «إذا توافرت معدات تصنيعية لنا، فسوف تصبح عملية الإنتاج أسهل بكثير، وسوف تفتح أمامنا مجالات تصنيعية جديدة» كما تؤكد السيدة.

أخرى تعود على مزارعي المنطقة بنفع مادي يفوق ما قد تعود به عليهم حشيشة الكيف»، تقول جعفر. لكن، هل نجحت التعاونية في ذلك؟ «هدفنا يتحقق يوماً بعد يوم»، تؤكد السيدة، مشيرة إلى التزايد المستمر في عدد أعضاء التعاونية، التي احتفلت خلال الشهر المنصرم بمرور سنة على إنشائها. وتحتفظ جعفر بالفضل لزوجها، الذي كان وراء فكرة إنشاء التعاونية. فالمهندس الزراعي حمد جعفر، وهو يحتل اليوم منصب أمين سر تعاونية الأميرة، يختصر بجملة هوية التعاونية ومحتواها من فلاح وأزهار وأعشاب على اختلافها، حيث يصفها ب«برية دار الواسعة الجردية». ويروي المهندس كيف أن انطلاق التعاونية كانت بعد طرحه فكرة استثمار نسوة دار الواسعة والقرى المجاورة لها للأعشاب والأزهار المنتشرة في المنطقة، ضمن إطار تعاونية زراعية «نحارب بواسطتها تفشي زراعة حشيشة الكيف، وتعاطيها أيضاً، من خلال توفير عمل لكثير من العاطلين منه»، مشيراً إلى وجود شباب كثيرين من بين أعضاء التعاونية. بدأت مغامرة إنشاء التعاونية فعلياً من دون رأس مال، حيث جرى الاعتماد أساساً على «هبة النسوة»، اللواتي أظهرن نشاطاً في العمل، وخصوصاً بعدما اكتشفن أن إنتاجهن يعود عليهن «بمردود مادي معقول بدل القعدة بالبيت» كما يقول جعفر. وقد خدمت طبيعة المنطقة أصحاب المغامرة، إذ إن تلك الطبيعة تتميز بغلة وافرة من النباتات، وتتيح غرس الكثير من أنواع المزروعات، نظراً إلى المياه الوفيرة التي تحيط بسائر وهادها حتى محيط منازلها: فمن أشجار التفاح والإجاص والتوت البري، إلى الأعشاب التي لا تكاد تنتهي بدءاً من اللافندر وحشيشة الزوفة والختمية والبابونج، مروراً بالمردكوش والنعناع البري وصولاً إلى أزهار الورد الجوري والعلبيق والزعرور والمليسة. كله موجود في المنطقة.

رغم ذلك، يشير جعفر إلى أن تعاونية الأميرة لا تعتمد فقط على هذه الأعشاب بل إنها تعاقدت مع

الجرد الخصب
تعتمد تعاونية الأميرة في إنتاجها على النباتات والأعشاب البعلية التي تملأ سهول البقاع الأوسط (الأخبار)



حواضر التعاونية

«الافندر» دار الواسعة والشراونة

استغلال زهر النبتة في «تطبيب» العديد من الطبخات الدسمة، إضافة إلى استعمالها دواءً لإبعاد حشرة العث عن الثياب، ذلك أن وضع بعض الحبيبات من زهر الخزامى داخل

خزانة الثياب كقيل بنشر رائحة جميلة، ويطرد العث، وحشرات أخرى. يؤكد جعفر أن التعاونية ستعتمد خلال الموسم القادم إلى استعمال «الكركي» الخاصة بتقطير الورد، في



لعل أكثر ما تتميز به تعاونية الأميرة - دار الواسعة هو اهتمامها بتلك النبتة التي يطلق عليها اسم «الافندر» (التعبير باللغة الإنكليزية، والنبتة تُعرف تحت اسم الخزامى باللغة العربية)، التي تزخر بها تلال وأودية دار الواسعة. النبتة عطرية بامتياز «لكن العين بصيرة واليد قصيرة، في مجال استغلالها كما ينبغي في الصناعات التي قد تنتج عنها»، يقول ابن البلدة، وأمين سر تعاونية الأميرة، المهندس الزراعي حمد جعفر، فعلى الرغم من أن النبتة تصنف من النباتات الخاصة بإنتاج الزيوت العطرية بحسب مهندسين فرنسيين، كما يؤكد جعفر، إلا أن التعاونية ما زالت تفتقد المعدات الحديثة التي يمكن الاعتماد عليها لإنتاج العطر. أعضاء التعاونية لم يستسلموا أمام هذا العائق، فقد عمدوا إلى

محاولة ذاتية وغير ممكنة لتقطير نبتة اللافندر. النبتة الجردية تعدّ من النباتات البعلية التي تكره الأرض الرطبة، وهي تناسب طبيعة أرض دار الواسعة المشمسة والجافة. وتؤكد نوفة جعفر، رئيسة تعاونية الأميرة، أن المزارعين «رؤسوا» النبتة البعلية، إذ لجأوا إلى زراعتها كشتول في محيط المنازل، وقد نجحت التجربة بامتياز، وخصوصاً أن المزارعين حرصوا على ألا يصلها الماء إلا عند غرسها فقط. ولا يقتصر وجود النبتة على دار الواسعة، إذ نجحت زراعتها في حي الشراونة، في بعلبك، الأمر الذي يعني أنها من الممكن أن تزرع في البقاع. «جذبنا رائحة النبتة والخصائص التي تتميز بها، فأقدمنا على قطف زهرها وطرحه كمنتج طبيعي في الأسواق، حيث

نال الإعجاب، وخصوصاً الأشخاص الذين يدركون ملباً ماهية اللافندر»، تقول رئيسة التعاونية. أخذت نسوة التعاونية يزرنها في كل «حاكورة» أو حوض ورد أمام مدخل المنزل، وتحت كل نافذة حتى تدخل رائحتها إلى كل أرجاء المنزل، وخصوصاً عند موسم إزهارها في الفترة الممتدة بين أيار وتشيرين الأول. ويؤمن سكان المنطقة بالفوائد الطبية لزهرة اللافندر، ساردين لأتحة طويلة منها، تبدأ، بحسب جعفر، من كونها مدرّة للبول، ومسكّنة للأوجاع ولآلام المعدة والغازات، كما يفيد شرب زيتها في علاج الاضطرابات العصبية وخفقان القلب والصداع والتهيج النفسي، كما أنه فعال في مداواة لدغة الحشرات.

رامح....